

الوافي في الوفيات

قال شمس الدين الجزري : حدثني الأمير سيف الدين أبو بكر المحفّـد دار قال : كان السلطان
وقال في نفر ذلك له قلت فلما بالعساكر مـ يتقد بأن بيدرا إلى بكرة نفذني قد C
السمع والطاعة كم يستعجلني ! .
!

ثم إنني حملت الزردخاه والثقل الذي لي وركبت فيينا أنا ورفيقي صارم الدين الفخري
وركن الدين أمير جاندار عند الغروب وإذا بنجـاب قد أقبل فقلنا له : أين تركت
السلطان ؟ فقال : يطول أعماركم فيه . فبهتنا . وإذا بالعصائب قد لاحت وأقبل الأمراء
وبيدرا في الدست فجئنا وسلمنا . وسأله أمير جاندار وقال له : يا خوند هذا الذي تم
كان بمشورة الأمراء ؟ قال : نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم وهاهم حضور . وكان من
جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر رأس نوبة وقراسنقر وبدر الدين بيسري . ثم إن بيدرا شرع
يعدّ ذنوبه وإهماله لأموار المسلمين واستهتاره بالأمراء وتوزيعه لابن السـلعوس . ثم قال
: رأيت أمير زين الدين كتبغا ؟ قلنا : لا فقال له أمير جاندار : كان عنده علم من هذه
القضية ؟ قال : نعم هو أول من أشار بها . فلما كان من الغد جاء كتبغا في طلب نحو ألفين
من الخاصـكية وغيرهم ثم قال كتبغا لبيدرا : أين السلطان ؟ ورماه بالنشـاب ورموا
كلهم بالنشـاب وقتلوه وتفردّـق جمعه قال : فلما رأينا ذلك التجأنا إلى جبلٍ واختلطنا
بالطلب الذي جاء فعرفنا بعض أصحابنا فقال لنا : شدوا بالعجلة مناديلكم في أرقابكم إلى
تحت الإبط يعني شعارهم .

قال ابن المحفّـد دار : وسألت شهاب الدين ابن الأشـل : كيف كان قتل السلطان ؟ قال : جاء
إليه بعد رحيل الدّهليز الخبر أن بترـو وجه طيرا كثيرا فقال لي : امش بنا حتى نسبق
الخاصـكية . فركبنا وسرنا فرأينا طيرا كثيرا فرمى بالبندق وصرع كثيرا . ثم قال :
أنا جيعان فهل معك شيء ؟ فقلت : ما معي سوى فرـو وجه ورغيف في سولقي . فقال :
هاته فناولته فأكله ثم قال : امسك فرسي حتى أبول . قال : فقلت : ما فيها حيلة أنت راكب
حصان وأنا راكب حبر وما يتفان فقال : انزل أنت واركب خلفي وأركب أنا الحجر التي لك
وهي تقف مع الحصان إذا كنت فوقه . فنزلت وناولته لجامها وركبت خلفه . ثم نزل هو وجعل
يريق الماء ويولع بذكره ويمارحني . ثم ركب حصانه وأمسك الحجر لي حتى ركبت . وإذا بغبار
عظيم فقال لي : سق واكشف الخبر . فسقت وإذا ببيدرا والأمراء فسألتهم عن سبب مجيئهم فلم
يردوا عليّ وساقوا إلى السلطان وقتلوه . ثم إنه بعد يومين طلع والي ترـو وجه وغسلوه

وكفّنوه ووضعوه في تابوت وسيّروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري فأحضر التابوت . ودفن في تربة والدته وذلك سنة ثلاثٍ وتسعين وستٍ مائة وكان من أبناء الثلاثين أو أقلّ .

ذكر فتوحاته : عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبهسنى وجميع الساحل في أقرب مدة . وكان مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام وكان كرمه زائداً وإطلاقاته عظيمة . وكانت واقعته تسمّى : وقعة الأيدي والأكتاف لأن جميع من وافق عليه قطّعت أيديهم أولاً وفيهم من سمّـر وفيهم من أحرق وفيهم من قتل . ولم يجدّ د في زمانه مظلمة ولا استجد ضمان مكس . وكان يحب الشّام وأهله . وحدثت أنه كان بدمشق قبل ولاية الأشرف يؤخذ عند باب الجابية على كل حملٍ يحمل غلّةً خمسة دراهم مكساً فأول ولاية الأشرف وردت إلى دمشق محامحة بإسقاط ذلك المكس . وبين سطور المرسوم بذلك بخطه بقلم العلامة : ولتسقط عن رعايانا هذه الظلمة ويستجلب الدعاء لنا من الخاصّة والعامّة . من البسيط . وأزرق الصّبح يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكب